اخبار الاخيار

بما وجد على القبور من الاشعار

جمع احمد بن خليل اللُبودي

عُني بنشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

تحرير

انَّ الخصلات المؤثرة التي أُثبتت في الشهر المنصرم لاكرام الموثق ذكَّرتنا بأثر كتابيّ وجدناهُ في مكتبة دمشق المروقة بالملك الظاهر فاستنسخناهُ لننشرهُ عند سنوح الفرصة. والاثر المذكور نبذةٌ وردت في احد مجاميع المكتبة الوما اليها وهو الموسوم بالعدد الثامن من الاديبات المنظومة (١

فهذا المجموع يشتمل على ثلثة تآليف اوَّلها الذي رونا عنوانهُ « اخبار الاخيار بما وُجد على القبور من الاشعار جمع احمد بن خليل اللبودي الدمشقي الشافعي » والكتاب مكتوب بخطٍّ مرتَّب على الحروف . والتأليف الثاني لهُ ايضاً بخطٍّ عنوانهُ « النجوم الزواهر في معرفة الاواخر ». وفي التأليفين بياض كثير كأنَّ المؤلف اراد ان يزيد عليها فلم يتمَّها . أمَّا الكتاب الثالث فهو « احاديث مختلفة تحريجهُ لنفسهِ من مرويَّاتهِ »

وقد سعينا جهدنا لنقف على شيءٍ من اخبار الكاتب وعهده فلم نجد لاسمهِ ولكتابيهِ ذكراً في ما لدينا من فهارس المخطوطات العربيَّة شرقاً وغرباً . وغاية ما حصلنا عليهِ ما ورد من ذكر كتابهِ في كشف الظنون للحاج خليفة (١ : ١٨٣-١٨٤) حيث قال : « كتاب اخبار الاخيار للشيخ ابي العبَّاس احمد بن خليل السخاويّ وهو الذي اختصر ابن طولون منهُ تأليفهُ المسمَّى بغية الاعتبار بما وُجد على القبور من الاشعار » فيُحصَّل من قولهِ هذا انَّ المؤلف تقدَّم على زمن ابن طولون وهو محمَّد بن عليّ بن محمَّد بن طولون الدمشقي المتوفَّى سنة ٩٥٣ (١٥٤٦م) فيكون من اهل القرن الثامن او التاسع للهجرة اي الرابع عشر او الخامس عشر للمسيح . ولا بأس انَّ في كتابهِ بياضاً كثيراً لما في الباقي منهُ من الافادة . وقد ضربنا صفحاً عن ما ذكر المؤلف من الاسانيد لقلَّة الحاجة اليها ونشير بالارقام السود الى صفحات نسختنا التي نقلها لنا عن الاصل الكاتب الاديب محمَّد افندي صادق فهمي في ٢٧ شوَّال سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١م) وهذه النسخة مع كونها بخط المؤلف سقيمة ملتبسة الحروف كثيرة التصحيف تكرَّرت فيها بعض مرويَّاتها بحرفها الواحد فأصلحناها على قدر الاستطاعة

---

١) اطلب خزائن الكتب في دمشق وضواحيها للكاتب الاديب حبيب افندي الزيات (ص ٨٥)

(٣) بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي استأثر بالبقاء ، وحكم على جميع ما سواه بالفناء ، وجعل القبر روضةً من رياض الجنّة السعداء ، واشهد انّ لا إله الّا الله وحده لا شريك له ذو العظمة والكبرياء ، واشهد انّ محمّدًا عبدُهُ ورسوله سيّد الاصفياء (صلعم) ، وعلى آله النجباء صلاةً وسلاماً دائمين بدوام الارض والسماء .

امّا بعد فني النظر الى القبور اعظمُ عبرةٍ لكل ذي عقل مستقيم ، وفي التفكّر في مصارع اهلها اصدعُ عظةٍ لكل (٣) قلبٍ سليم ، وقد اشار (صلعم) الى ما في زيارتها من المآثر الفاخرة ، بقوله : « كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانّها تذكّر الآخرة » : وقيل لبعضهم : ما ابلغُ العظات ؟ قال : النظر الى محلّة الاموات . ولله درُّ القائل

كفى واعظاً بالقبر إن كنتَ ناسياً لنفسكَ فاسهرْ في مكانك او نَم

وهذا تعليق فيما وُجد على القبور من الأشعار ، لم أرَ احدًا ممّن تقدّم حصل له باقراره الإشعار ، ولعمري انّ في الوقوف على ذلك إيقاظاً واعتباراً ، وتنبيهاً للموفّق على عدم النظر الى هذه الدار ، وقد لقّبتُهُ « باخبار الاخيار بما وُجد على القبور من الاشعار » ورتّبتُهُ على الحروف ، اتّباعاً للعرف المألوف ، وعلى الله الكريم اعتمادُ ومن فيض كرمه استمدُّ ، فهو المولى المولي لكلّ جميل ، وهو حسبنا ونعم الوكيـ

حرف الالف

اخبرنا محمّد بن محمّد بن اقوش (كذا) مشافهةً عن الحافظ ابي بكر بن المحبّ (٤) .. عن عمر بن عبدالله قال : قرأتُ على قبر بدمشق بباب الجابية (مجزوء الخفيف) :

انتَ لا شكَّ ميّتٌ فتهيّأْ لِما ترى
انّما اللحدُ والثرى جُعلا منتهى البلا

اخبرتنا الشريفة خديجة بنت احمد الاسحاقيّة في كتابها اليّ من حلب عن عمر ابن الحسن .... قال انبأنا ابو بكر ابن ابي الدنيا قال: كان على قبر مكتوباً (مجزوء الخفيف):

(٥) صرتُ بعد النعيم في منزلِ البُعد والقلا
وجفاني احبّتي حيث غُيّبتُ في الثرى
أخلقَ الموتُ جدّتي ومحا حُسنيَ البِلى

حرف الباء

اخبرنا ابو العبّاس احمد بن علي بن السحام (؟) بقراءتي عليه بجامع دمشق عن محمّد بن احمد بن النحّاس .... قال أجمع اهل الحجاز واهل البصرة واهل الكوفة على انهم لم يسمعوا ببيتين احسن من بيتين رأوهما على قبر عبدالله بن جعفر ابن ابي طالب رض (من الطويل):

(٦) مقيمٌ الى ان يبعث اللهُ خلقَهُ لقاؤكَ لا يُرجى وانت قريبُ
تَزيدُ يلى في كلّ يوم وليلةٍ وتُنسى كما تَبلى وانت حبيبُ

اخبرتنا اسماء بنت عبدالله المهرانيّ مشافهة ... عن ابرهيم بن عمر قال: كتب الاشجعي (؟) الكوفيّ على قبر اخيه (طويل):

بكاني طويلٌ والدموعُ غزيرةٌ وانتَ بعيدٌ والمزارُ قريبُ
نسيبُكَ مَن أمسى يناجيكَ طرفُهُ وليس لمن تحت التراب نسيبُ
غريبٌ واطرافُ البيوتِ تحوطُهُ ألا كلُّ من تحت التراب غريبُ

(٧) واخبرتنا الشريفة خديجة بنت احمد الحسينيّة كتابةً ... عن ابي الصهباء قال: قرأتُ على قبرٍ بطرسوس مما يلي باب الجهاد مكتوباً (طويل):

فارقتُ دنياي وصرتُ الى ربّي فيا ربِّ فاغفرْ ما تقدّم من ذنبي
أمرتُ باشياء ومن غيرها نهى فخالفتُهُ فيها واصبحتُ في كربِ

ورأيتُ في الكتاب الداعي الى وداع الدنيا لابي سعد بن اسمعيل بن علي الفقي انهُ وجد مكتوباً على قبرٍ (مجزوء الرمل):

صرتُ رهناً في التراب بعد انسٍ واقتراب
وجفاني اهلُ ودّي لاياسٍ من ايابي

حرف الناء

ورأيتُ بخطّ بعضهم قرأ على ضريحةِ قبرٍ (٨) (وافر) :

ليعتبرِ الذين رأوا شبابي بانَّ الموتَ لم يبكُ في شبابي
يزورُني الحبيبُ فلا يراني ويدعوني فلا يرجو جوابي
تناساني الاحبّةُ اذ رأوني رهينَ جنادلٍ تحت التراب
فمن يرَ مضجعي فليعتبرْني ولا يغترَّ بعدي بالشبابِ

ورأيتُ في بعض الجبابين قبرين متلاصقين مبنيَّين على هيئة واحدة فوجدتُ على احدهما مكتوباً (كامل) :

كنّا كزوج حمامةٍ في ايكةٍ متمتّعَيْنِ بنعمةٍ وشبابِ
غدرَ الزمانُ بنا ففرّق بيننا انَّ الزمانَ مفرّقُ الاحبابِ

حرف الزاء

روى ابو محمّد عبد الحقّ(٩) الاشبيلي في كتاب العاقبة انهُ قعد على قبرٍ مكتوب عليهِ (طويل) :

تناجيك اجداثٌ وهنَّ سكوتُ وسكناهُا تحت التراب خفوتُ
أيا جامع الدنيا لغيرٍ بلاغةٍ لمن تجمعُ الدنيا وانت تموتُ

وذكر صاحب بغية اللبيب وغنية الاديب ومن خطّهِ نقلتُ انَّ ابا عبدالله محمّد اللوشيّ الشهير بابن الخطيب اوصى ان يُكتَب على قبرهِ (المتقارب) :

بَعُدْنا وان جاوَرَتْنا البيوتُ وجئنا بوعظٍ ونحنُ صموتُ
واصواتنا سكنَتْ دفعةً كجَهْرِ الصَّلاةِ تلاها القنوتُ
وكنّا عِظاماً فصرنا عظاماً وكنّا نقوتُ فهانا نحنُ قوتُ
وكنّا شموسَ سماء العُلى غربْنا فناحت علينا السُموتُ

فقل للمدى ذهبَ ابنُ الخطيب وفات ومن ذا الذي لا يفوتُ
فمن كان يفرحُ منهم لهُ فقل يفرح اليومَ من لا يموتُ
سيبلى الجديدُ اذا ما المدى تتابع آحادُهُ والسبوتُ
فلا تغترر بسراب الحياة فانك عما قريب تموتُ

وذكر انَّ بعضهم قرأ على صفحة قبر (١٠) (طويل):

ألا ألا أيها الماشي على جنب حفرتي توقف قليلاً كي تفهَّمَ قصتي
رمتني المنايا اذ شبابي بزهرة طريًّا واذ ثوبي جديدٌ وحُلَّتي
فلم تُخطني لما رمتني سهامُها فاصبحتُ فيها بين نارٍ وجنَّةِ
ولي خالقٌ يمحو الذنوبَ بعفوه ويغفر لي مولاي ان شاء زلَّتي

ووُجد على قبر (المنسرح):

وكم لميتُ بطيب عيشٍ دهرًا نسيتُ به الوفاتا
والآنَ متُّ وعنك ايضاً لا بدَّ يوماً يقالُ ماتا
فجِدَّ واحذرْ تكونَ مثلي كسبتُ ذنوباً والخيرُ فاتا

(١١) روي عن عبد العزيز بن سليمان العابد قال: قرأتُ على قبر بطريق الساحل (السريع):

ألحقنا الدهرُ بآبائنا وكلُّ من عاش فيوماً يموتْ

فسألتُ: لمن هذا القبر. فقالوا: لشيخ اتت عليه عشرون ومائة سنة ثمَّ مات فاوصى ان يُكتب هذا على قبره.

وعن ابي جعفر القُرشي مولى بني هاشم قال: خرج رجل من بَلخ مارًّا الى مقابر البصرة فبينا يتخطَّاها اذ بصر بقبر عليه مكتوب (بسيط):

يا غافلَ القلب عن ذكر المنيَّاتِ عمَّا قليل ستأوي بين اموات
فاذكر محلَّك من قبل الحلول به وتُبْ الى الله من لهوٍ ولذَّاتِ
انَّ الحِمام لهُ وقتٌ الى أجلٍ فاذكرْ مصائب ايامٍ وساعاتِ
لا تطمئنَّ الى الدنيا وزينتها قد حان للموت يا ذا اللبِّ ان يأتي

وعن احمد بن محمّد بن يحيى المكّري قال: بلغني انهُ وُجد على حجر على قبر مكتوباً (سريع): (١٢):

وغافلٍ أُوذِنَ بالموتِ لم يأخذ العدّة للفَوْتِ
ان لم تزل نعمتُهُ قبلَهُ زال عن النعمة بالموتِ (١)

(١٧) واخبرنا محمّد بن محمّد الصالحيّ مشافهة ... عن عمران بن عبدالله قال: قرأتُ على قبرٍ بدمشق بباب الجابية بحمرةٍ مكتوباً (مجزوء كامل):

كم قد وقفتُ كما وقفتَ م وكم قرأتُ كما قرأتِ
بل كم خُدعتُ وكم هلمتُ م وكم فزعتُ من الفواتِ
انظر لنفسك يا اخي قبل التنفّس بالمماتِ
ولقد فوتُ وقد تفو تُ وقد تصيرُ الى رُفاتِ

(١٨) وفي كتاب الداعي الى وداع الدنيا عن عبد الملك بن محمّد قال: مكتوبٌ على مقبرة ابن عبّاس (طويل):

وكانت على الايّام نفسي عزيزةً فلمّا رأت صبري على الذلّ ذلّتِ
فقلتُ لها يا نفسِ موتي كريمةً فقد كانت الدنيا لنا ثم ولّتِ

وذكر الامام ابو الفتح ابن رجب في كتاب اهوال القبور انهُ قرأ على قبرٍ (مجزوء الكامل):

ولقد وقفتُ كما وقفتَ م ولقد نظرتُ فما اعتبرتُ
حصّل لنفسك منزلاً قبل الحصولِ كما حصلتُ

ووجدت بخط قديم ما لفظهُ قال الشيباني: وُجد مكتوباً على بعض القبور (كامل):

مللّ الاحبّةُ زورتي فجُفيتُ وسكنتُ في دار البِلى فنُسيتُ
الحيُّ يكذبُ لا صديقَ لميتٍ لو كان يصدقُ ماتَ حينَ يموتُ

ووُجد مكتوباً على بعض القبور (كامل) (١٩):

(١) هنا بالاصل قد أُعيدت الصفحات الاربع السابقة بحرفها فلم نجد حاجةً للتكرار

يا موتَ مَنْ سكن البلى وبقيتُ لو كنتُ اصدقُ اذ بَليتَ بَليتُ
لو كان يَغنى للبكاء منفّجعٌ من طول ما ابكي لكنتُ عييتُ

حرف الحاء

(٢٠) اخبرتنا الشريفة خديجة بنت احمد الحسينيّة كتابةً باسنادها الى ابي بكر عبدالله بن محمّد القرشي قال: قرأتُ على قبر بالأُبُلّة (سريع):

الموتُ بحرٌ غالبٌ موجُهُ تضلُّ فيهِ حيلةُ السابح.
يا نفسِ اني قائل فاسمعي مقالةً من مشفقٍ ناصح.
ما يصحبُ الانسانُ في قبرهِ مثلَ التقى والعمل الصالح.

وبهِ اليهِ قال: سمعتُ بعض اصحابنا قال قرأتُ على قبر بالبصرة (طويل):

لئن كنتُ لهوًا للعيونِ وقرّةً لقد صرتُ سقمًا للقلوب الصحائح.
وهوّن وجدي ان يؤجّل مدركي واني غدًا من اهل تلك الضرائح.

حرف الدال

اخبرَ ابو العباس احمد بن الحسن المقدسي مشافهةً عن الصلاح محمّد بن احمد المقدسيّ (٢٠)... عن ابي عبدالله محمّد بن زيد بن عليّ بن الحسين الواسطي قال: رأيتُ على قبر يعقوب بن الليث وعلى اربع جوانبهِ مكتوباً (طويل):

قُلْ للمُداة الشامتين بموتنا أفي ظنّكم ان سوفَ تبقون خُلّدا
فان شتَ الاعداء يوماً بموتنا فانَّ المنايا قد أتينَ محمّدا

وأخبرنا عن شيخ من ثقيف انهُ قال: وُجد في حفرةٍ بالحيرة حجرٌ منقول فيهِ مكتوب: انا عبد المسيح بن حيان بن بقيلة (وافر):

حلبتُ الدهرَ اشطرهُ حياتي ونلتُ من المنى فوقَ المزيدِ
(٢١) وكافحتُ الامور وكافحتني ولم اخضع لمضلةٍ كؤودِ
وكدتُ انالُ في الشرفِ الثريا ولكن لا سبيلَ الى الخلودِ

وحدّث غالب النجراني عن ابيهِ قال توفي رجلٌ في البحرين فاوصى ان يُكتب

على باب قصره بعد موته هذين البيتين وانا قرأتهما (كامل) :

طلبتُ العيش اغبطُ ناعميهِ وعشتُ من المعايش في الرغيدِ
فلم أترك وربّ البيت حتى سُلبت من الاقارب والعبيدِ

وحدّث محمّد بن الحسين قال : قرأتُ على قبرٍ في بعض الصحارى (المجتث) :

قبرَ عزيزٍ علينا لو انّ من فيهِ يُفدَى
اسكنتَ قرّةَ عيني ومنيةَ النفسِ لحدا
ما جارَ خلقٌ علينا ولا القضاء تعدّى
والصبرُ أزينُ ثوبٍ بهِ الشقيُّ تردّى

روي عن بعضهم قال : مررتُ ببعض البراري فاذا انا بقصر مشيّد قد اناخت عليه الاهواء بكلاكلها وقد تهدّمت اركانهُ ودثر بنيانهُ واذا على بابهِ اسطر مكتوبة فتأملتها فاذا هي (البسيط) :

انظرْ الى غيّر الأيام ما صنعتْ افنت اناساً بها كانوا وما تركتْ
أيامهم ضحكت في وقت دولتهم حتى اذا انقرضت ناحت لهم وبكتْ

(قال) فدخلت القصر فاذا القبّة مملّئة على اربعة اعمدة وفي القبر قبرٌ مصفّح بالرمر وقد علاهُ الغبار فنفضتُ عنهُ الغبار فاذا عليهِ مكتوب (مجتث) :

كم من كريمٍ عزيزٍ وذي جمالٍ وبذخٍ
قد صار عظماً رميماً في ظلمة القبر مُردي
(٢٢) فالحمد لله ربّي قد صرتُ في القبر وحدي
قد فرّق الموت بيني وبين اهلي وودّي
فلستُ اعرف شيئاً من امر ما كانَ بعدي
وقد خلوتُ بفعلي وسوف يُقضى بعهدي
مستوحشاً ذا ذنوبٍ خبّطتُ فيها بجهدي
استغفرُ الله ربّي من خطائي وعمدي
فاغفر أيا ربُّ ذنبي فكل ذلك عندي
انت الجوادُ بفضلٍ فأحسن اليومَ رقدي

(٢٧) وروي عن ابي الحسن الازديّ قال : قرأتُ على قبر بعض الكرديين واسط (كامل) :

تفكَّرْ كيف افنى الموتُ قومَ ثمود وقوم فرعونٍ وعادا
وسَلْ دار البلى كم قد ابادت ملوكاً ظالماً ركبوا الجيادا
وسل بيت الغنا كم من ملوكٍ عظيمٌ شأنهم صاروا رمادا

وذكر الاشبيلي في كتاب العاقبة انهُ وجد على قبر ابي عامر بن شهيد (قال) وهو مدفون بازاء قبر صاحب ابي مروان الزجاجي وكأنهُ انما يخاطبهُ ودُفنا في بستان كانا كثيرًا ما يجتمعان فيهِ (منسرح) :

يا صاحبي قُمْ فقد أطلنا أنخنُ طولَ المدى هجودُ
فقال لي لن نقومَ منها ما دام من فوقنا الصعيدُ
تذكَّرَنْ كم ليلةٍ كمنا في ظلها والزمانُ عيدُ
وكم سرورٍ يهمي علينا سحابهُ نثرهُ يجودُ
كلٌّ كان لم يكن تقضَّى وشؤمهُ حاضرٌ عتيدُ
حصَّلهُ كاتبٌ حفيظٌ وضمَّهُ صادقٌ شهيدُ
يا حسرتاهُ ان لم تنلنا نعماهُ انَّ بطشهُ شديدُ
يا ربِّ عفوًا فانت ربٌّ قصَّر في حقِّهِ العبيدُ

وذكر فيهِ ايضاً انهُ وجد على قبر بطليطلة قديم اذ كانت للمسلمين (وافر) :

كأنك قد رحلتَ عن الباني ورارَتْكَ الجنادلُ والصعيدُ
وناداك الحبيبُ فلم تُجبهُ وقُربكَ منهُ في الدنيا بعيدُ
(٢٨) واضحَ مالكَ المجموع نهباً وعُطِّل بعدك القصرُ المشيدُ
وصار بنوكَ ايتاماً صغاراً وعانقَ عرسكَ البعلُ الجديدُ
واكثر منهُ أنكَ لستَ تدري شقيٌّ انتَ ام دَوْماً سعيدُ

(٢٩) واخبر علماء حمير قالوا: لما هلك شدَّاد بن عاد ملكَ بعدهُ ابنهُ وقد كان ابوهُ خلَّفهُ بحضرموت على ملكهِ وسلطانهِ فسار بجمل ابيهِ الى حضرموت وهناك حُفرت لهُ حفيرة في مغارة فاستودعهُ فيها على سرير من ذهب والقى عليهِ سبعين حلَّة

منسوجة بقضبان الذهب ووضع عند رأسه لوحاً عظيماً من ذهب وكتب عليه (مجزوء الرمل) :

اعتبرْ بي أيها الغر م ورُ بالعمر المديدِ
انا شدّادُ ابن عادٍ صاحب الحصن العميدِ
واخو القوّةِ والبأ ساء والملك الحشيدِ
دان اهلُ الارض لي من خوف وعدي ووعيدي
وملكتُ الشرق والغر ب بسلطانٍ شديدِ
وبفضل الملكِ والعُدّ ةِ والجيش العديدِ
فأتى هودٌ وكنّا في ضلالٍ قبل هودِ
(٣٠) فدعانا لو قبلنا هُ الى الامر الرشيدِ
فعصيناهُ وناديتُ م ألا هل من مُجيدِ
فاتتنا صيحةٌ تهوي م من الافق البعيدِ
فتوافينا كزرعٍ وسط بيداء حصيدِ

(٣٢) ومما كُتب على مقبرة (البسيط) :

قف بالقُبور ونادِ الميّتين بها من اعظُمٍ بَليَتْ فيها واجسادِ
قومٌ تقطّعت الاسبابُ بينهمُ بعد الوصالِ فصاروا تحتَ اطوادِ
والله لو بُعثوا يوماً ولو نُشروا اذن للاقوا التُّقى من افضل الزادِ

وروي انّ ابرهيم بن ادهم رحمةُ الله عليه اوصى ان يُكتب على قبره (منسرح):

جنبي تجافى عن الوسادِ من حذَرِ الموتِ والمعادِ
من خافَ من سكرة المنايا لم يدرِ ما لذّةُ الرقادِ

ورأيت على قبر بدمشق مكتوباً بحفر (وافر) :

اذا كنت الكريمَ فلا أُبالي ولو بلقتْ ذنوبي القطرَ عدّا
فكم من مذنبٍ في الحشر مثلي بجودك من لهيب النار عدّى

(٣٣) حرف الراء

حدّث رجل من بني حجل يكنّى ابا بكر قال مررتُ في بعض مخاليف اليمن فاذا بقبرين عظيمين بينهما صخرة منقورة مكتوب عليها بحفر (سريع) :

هذان قبرا سيّدَي حميَر قد بليا في التربِ تحت الثرى
افناهما الموتُ بكرّاتهِ والموتُ يُفني كل شخ الذرى

وحدّث سيف الصنعاني قال : مررتُ على وادي حضرموت فاذا بقبر من قبور اولئك الاوّلين عليهِ مكتوب بالحميريّة فزرتُهُ فاذا عليهِ مكتوب (بسيط) :

انا ابنُ مَنْ عَمّر الدنيا ليسكنها فاخرَبت نفسَهُ الاقدارُ والأَجلُ

(٣٤) ويروى : الآجالُ والغِيَرُ . وحدّث رجلٌ من بني ضبّة قال : مررتُ بقبر في جبّانة نحو بيت المقدس فوقفتُ انظر اليهِ فاذا عليهِ مكتوب (رمل) :

أيها الواقف هوناً فاعتبر انّ الموت في لشغلا فاذكرْ

وحدّث عمرو بن الزبير قال قرأتُ على قبر في الجبانة مما يلي المهالبة عليهِ مكتوب (سريع) :

من أبصر القبر رأى عبرًا جنادلًا يُبلينَ وجهًا نَضِرًا

قال : فوالله ما ملكت نفسي فبكيتُ . وحدّث محمّد بن الحسين قال : قرأت على قبر في بعض الجبابين مكتوباً (سريع) :

لم يبقَ للميّت في قبرهِ فَطرٌ ولا اضحى ولا عَشرُ
نأى عن الاهل على قربهِ كذاك مَنْ مسكنهُ القبرُ

وعنهُ ايضاً قال : قرأتُ على قبر في بعض الجبابين (مجزوء الرمل) :

ان يكن مات صغيرًا فالأسى غيرُ صغير
كان ريحاني فصار م اليوم ريحانَ القبور
ربّ اغصانٍ مليحا تٍ بديماتٍ بنور
غرستها في بساتين م البلى ايدي الدهور

وعن ابي مدّين محمّد الجوهري قال : كان على قبر مكتوباً (مجزوء الرمل) :

أيها الواقف بالقبر م عشاء وسحر
انّ في القبر عظاماً باليات وعبر

وعن بكر بن خزيمة النميري قال: ماتت جارية آل المهلب فكتب على قبرها (طويل):

ألا أيها القبرُ الذي حلّ لحدَهُ قصيرةُ عمرٍ حبذا انت يا قبرُ
فخيرٌ لها منّا الذي شاء موتها وخيرٌ لنا منها المثوبةُ والاجرُ

وعن محمّد بن احمد البجلي قال وُجد على قبر عاديّ مكتوباً (مجزوء الكامل):

اصبرْ لدهرٍ نال منك م فهكذا مضتِ الدهورُ
فرحٌ وحزنٌ مرّةً لاالحزن دامَ ولا السرورُ

وعن ابن ابي الدنيا قال: حدّثني ابو علي النجّار انهُ نقشَ على لوح قبر (كامل):

يا أيها المَيت المغيَّب في الثرى زرتَ القبورَ فما تُحسُّ وما ترى
لمّا نُقلتَ الى المقابر ميتاً لم يبقَ دمعٌ جامدٌ الّا جرى
جاورتَ قوماً لا تواصلَ بينهم ويفونَ ضيفَهم الكرامةَ والقِرى

(٤١) واخرج ابو عليّ النجّار لوحاً نقشهُ لرجلٍ فجعلهُ في قبر بعض اهلهِ وكان عليهِ مكتوباً (طويل):

فكيفَ بقائي بعد إلفي وصاحبي ونسيَ قد ذابت وماتَ سرورها
واني لآتي قبرَهُ كمسلّم وان لم تُكلّم حفرةٌ مَن يزورها

قال: ودخل قومٌ قصراً قد خرب فاذا بفنائهِ قبرٌ وعلى بعض جهات القبر مكتوب (بسيط):

يا منْ يُعلّل باللذّاتِ مهجتَهُ أما ترى قبرَ ربّ القصر مهجورا

حدّث بعض البصريين قال: مرّ صالح المرّي بقصر خربٍ بفنائهِ قبران واسودُ جالس عندهما (٤٢) وعلى القبر مكتوب (بسيط):

يا أيها الركبُ سيروا اليومَ واعتبروا فعن قليلٍ تكونوا مثلنا عِبَرا

كنّا وكانت لنا الدنيا تلذّ بنا فما اعتبرنا وما كنّا لنزدجرا
حتى رمانا الردى منهُ بأسهُمهِ فلم يُبقِ لنا عيناً ولا اثرا

وحدّث ابو الحسن مولى بني هاشم انهُ قرأ على حائط مقبرة مكتوباً (رجز) :

يا أيها الواقفُ بالقبورِ بين أناسٍ غُيّبٍ حضورِ
قد سكنوا في خربٍ مهجورِ بين الثرى وجندلِ الصخورِ
ينتظرون صيحة النشورِ لا تلكَ عن حظّكَ في غرورِ
تحلُّ في منزلنا الحقيرِ

(٤٣) وحدّث محمّد بن بشير قال : قُرئَ على قبر (بسيط) :

هذي منازلُ اقوامٍ عهدتُهمُ في ظلّ عيشٍ عجيبٍ ما لهُ خطرُ
صاحت بهم حادثاتُ الدهر فانقلبوا الى القبور فلا عينٌ ولا أثرُ

وحدّث الحسن بن موسى البصريّ قال : قرأتُ على قبرٍ بالبحرين (طويل) :

خليليَّ كم من ميّتٍ قد حضرتهُ ولكنّني لم انتفع بحضوري
وكم من ليالٍ قد أرتني عجائباً بهنّ وايّامٍ مضت وشهورِ
وكم من خطوبٍ قد عرّتني كثيرةٍ وكم من امورٍ قد مضت وامورِ
ومن لم يَزدهُ الدهرُ ما عاش عِبرةً فذاك الذي لا يستبينُ بنورِ

وذكر ابو سعد اسماعيل في كتاب الداعي الى وداع الدنيا انهُ وجد على قبر ابن لنكك (بسيط) :

فيَّ اعتبارٌ لمن اضحى أخا فِكَرٍ كم يتبيّنُ في الموتى من العِبَرِ
اذا مررتَ بقبري فاعتبر عظتهُ واعلم بانك تقفوني على الأثرِ

وفيه ايضاً عن عبد الملك بن محمّد قال : رأيتُ مكتوباً على قبرٍ (بسيط) :

أسكنتُ من كان في الاحشاء مسكنهُ بالرغم منّيَ بين التُرب والحجرِ
يا قبر ما فيكَ من دينٍ ومن وَرَعٍ ومن حياءٍ ومن صونٍ ومن خَفَرِ
ان تَنحُ يا قبرُ شيئاً من محاسنهِ لم يُنحَ عنهُ جميلُ الذكر والخبرِ

كتابخانه ومركز اطلاع رسانی
بنیاد دایرة المعارف اسلامی

وفيهِ ايضاً عنهُ انهُ رأى مكتوباً على قبرٍ (مجزوء الخفيف)(٤٥) :

رحم اللهُ من رأى مصرع القبر فاعتبرْ
قد جُزينا بفعلنا وقُطِعْنا عن البشرْ
بعد روْحِ القصورِ صرْ نا الى ظلمة الحُفَرْ

وذكر الاشبيلي في كتاب العاقبة انهُ وجد على قبرٍ باليمن مكتوباً (منسرح) :

كم من عظيمٍ مستودَعٍ جدثاً قد غاب عن ملكه وعن وَطَرِهْ
اخرجهُ الموتُ من دساكرهِ ومن قساطيطهِ ومن حُجَرِهْ
اذا ثوى في القبورِ ذو خطرٍ فذَرْهُ فيها وانظرْ الى خَطَرِهْ

وذكر الحافظ ابو عبدالله الذهبي في كتابهِ تاريخ الاسلام في ترجمة امية بن عبد العزيز بن ابي الصلت الاندلسي انهُ اوصى ان يُكتَب على قبرهِ من شعرهِ (طويل) :

سكنتُكِ يا دارَ الفناء مصدّقاً بأني الى دارِ البقاء اصيرُ
واعظمُ ما في الامرِ انّي صائرٌ الى عادلٍ في الحكم ليس يجورُ
فيالَيتَ شعري كيف القاهُ عندها وزادي قليلٌ والذنوبُ كثيرُ
(٤٦) فان اكُ عُزِيًا بذنبي فانني بشرّ عقاب المذنبين جديرُ
وان يكُ عفوٌ منهُ عني فرحمةٌ فثَمَّ نعيمٌ دائم وسرورُ

وذكر بعض المؤرّخين ان ابا عليّ احمد بن بقاء بن عليّ البَقّال اوصى أن يُكتَب على قبرهِ (سريع) :

يا خَيْرَ منزولٍ بهِ انني ضيفٌ وحقُّ الضيف ان يُقرى
فاجعلْ قرايَ منكَ يا سيّدي غفران ما في صُحُفي يُقرَا

واوصى بعضهم ان يكتب على قبرهِ (بسيط) :

يا ربِّ جُدْ لي اذا ما ضمّني جَدَثي برحمةٍ منك تُنجيني من النارِ
أحسن جواري اذا اصبحتُ جارَكَ في لحدي فانّك قد اوصيتَ بالجارِ

واوصى الشيخ ابو الحفص عُمَر بن الوردي ان يُكتب على قبرهِ (طويل) :

ظُنّوا بربّ العرش ما هو اهلُهُ يا قاطعين لمن عصى بالنارِ
انا في يقيني انّ لي من حرّها حصناً يقيني وهو عفوُ الباري

(٤٧) ووُجد على قبر مكتوباً (طويل) :

أليسَ الى ذا صار آخرُ امرنا فلا كانت الدنيا اقلّيلُ سرورُها
فلا تعجبي يا نفسِ مما ترينَهُ فكلُّ امور الدهر هذا مصيرُها

وكتب عبدالله بن عائشة على قبر ولدٍ له :

اذا ما دعوتُ الصبرَ بعدك والبكا اجاب البكا طوعاً ولم يُجبِ الصبر
فان ينقطع منك الرجاء فانّهُ سيبقى عليك الحزنُ ما بقيَ الدهرُ

ومرّ بعضهم بالقبور فرأى في لوح مكتوباً (خفيف) :

أيها الماشي بين هذي القبورِ غافلاً عن حقيقةِ القبورِ
أدنُ مني أُنبئك عني ولا يُنبئك اليومَ عني مثلُ خبيرُ
انا ميّتٌ كما تراني طريحٌ بين اطباقِ رُجمةٍ وصخورِ
(٤٨) انا في بيت غربةٍ وانفرادٍ معَ قربي من جيرتي وعشيري
ليس لي مؤنسٌ به غيرَ سعيٍ من صلاحٍ سعيتُهُ او فجورِ
وكذا انتَ فانتظر بي والّا فعذيري منك النداة عذيري

وقرأتُ في بعض الكتبِ انّ إساف بن عمرو الجرهمي ملك جرهم فجر بنائلة في الكعبة فمسخهما الله حجرين ثمّ وُجدا في جبال مكة تحت الارض وعندهما لوح من رخام فيه مكتوب (خفيف) :

انا مأوى الفخارِ سافُ بنُ عمرو وربيعُ الانامِ في كلِّ عصرِ
كنت من جرهمٍ أُعدُّ رئيساً واذا ما أُمرتُ فالامرُ امري
كان حكمي عليهم وعلى من حجَّ ذا البيتَ في البريّةِ مجري
فهويتُ التي ترون امامي فتبطّنتُها على غيرِ مُهرِ
من يراني فليتّعظ بمصيري يوم موتي ولا يشكّ بقهري

حرف السين

(٤٩) اخبر عليّ بن الحسين الواسطي قال : رأيتُ قبر يعقوب ابن الليث فاذا مكتوب على احد جوانبه (طويل) :

ملكتُ خراسانًا وأكنافَ فارسٍ ... وما كنتُ من ملكِ العراقِ بآيسِ
سلامٌ على الدنيا وطِيبِ نسيمها ... كأنْ لم يكن يعقوبُ فيها بجالسِ

وذكر الاشبيلي في كتاب العاقبة انهُ وجد مكتوباً على باب مقبرة (طويل) :

سلامٌ على اهل القبور الدوارسِ ... كأنهمُ لم يجلسوا في المجالسِ
ولم يشربوا من بارد الماء شربةً ... ولم يأكلوا من كلّ رَطْبٍ ويابسِ
ولم يكُ منهم في الحياة منافسٌ ... طويلُ المنى فيها كثيرُ الوساوسِ

(٥٠) ألا ليتَ شعري اين قبرُ ذليلكم ... وقبرُ العزيزِ الشامخِ المتكاوسِ
تقد أودعوا في جانبِ اللحدِ واحدًا ... فها هُم من بين راجٍ وآيسِ
ولو عقل المرءُ المنافسَ في الذي ... تركتم من الدنيا لهُ لم ينافسِ

وفيهِ ايضاً انهُ وجد على قبرٍ (بسيط) :

انَّ الحبيبَ من الاحباب مختلسٌ ... لا يمنعُ الموتَ حُجّابٌ ولا حرَسُ
فكيفَ يفرحُ بالدنيا ولذّتها ... يا مَن عليهِ يُعَدُّ اللفظُ والنَّفَسُ
اصبحتَ يا غافلًا في النقص منغمساً ... وانت دهرَكَ في اللذّاتِ منغمسُ
لا يرحمُ الموتُ ذا جهلٍ لعزّتهِ ... ولا الذي كان عنهُ العلمُ يُقتَبَسُ
كم أخرسَ الموتُ في قبرٍ وقفتُ بهِ ... عن الجوابِ لسانًا صابهُ خَرَسُ
قد كان قصرُكَ معمورًا بهِ شُرَفٌ ... فنيرك اليومَ في الاجداثِ مندرسُ

(٥١) اخبر مالك بن ضيغم الراسي قال قرأتُ على قبرٍ بالأُبلّة (بسيط) :

انا البعيدُ القريبُ الدارِ منظرُهُ ... بين الجنادلِ والاحجارِ مرموسُ

حرف النون

اخبر ابن ابي الدنيا في كتاب القبور قال : قرأتُ على قبرٍ في طريق الشام مكتوبٍ عليهِ (بسيط) :

يا أيها الركبُ سيروا انَّ قصدَكمُ ان تُصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
حثوا المطايا وأرخوا من ازمَّتها قبل الممات وقضّوا ما يقضّونا
كنّا اناساً كما كنتم فغيّرنا دهرٌ وقريباً كما صرنا تصيرونا

(٥٢) ورويتا فيه ايضاً عن عمر بن عبدالله عن رجل قال : قرأتُ على قبر مكتوباً (كامل) :

يا من يصير غداً الى دار البلى ويفارقُ الاحباب والخُلّانا
انَّ الاماكن ما هناك عزيزةٌ فاختَرْ لنفسك ان عقلتَ مكانا

ورويتا فيه ايضاً قال: ورأيتُ على قبر مكتوباً (مجزوء الرمل) :

انا في القبر وحيدٌ قد تبرّا الاهلُ مني
اسلموني بذنوبي غبتُ ان لم تعفُ عني

ورويتا في كتاب احياء علوم الدين للغزالي عن ابن السماك قال : مررتُ بالمقابر فاذا على قبر مكتوب (وافر) :

يمرُّ اقاربي جَنَباتِ قبري كأنَّ اقاربي لم يعرفوني
ذوو الميراث يقتسمون مالي ولا يألون ان جحدوا ديوني
وقد اخذوا سهامَهم وعاشوا برغدٍ لم يروا ان يذكروني

(٥٤) ورويتا فيه ايضاً قال: ووُجد على قبر مكتوباً (وافر) :

وقفتُ على الاحبّة حين زرتُ قبورَهمُ كافراسِ الرهانِ
فلمّا ان بكيتُ وفاض دمعي رأت عيناي بينهمُ مكاني

وقال الإشبيلي في كتاب الحاقة : رأيتُ على قبر ابن حبيب باشبيلية في لوح رخام مكتوباً (منسرح) :

عمّرتُ عشرين واثنتين في حالةٍ لم تقرَّ عيني
أطمع دنيا رُفعتُ منها الى الذي آذنتْ بخيني
تركتُ في الحيّ اصفيائي وحيل ما بيتهم وبيني
قد بِنتُ عنهم اخرى الليالي ليس كبَيْن الحياةِ بَيني
وسوف ينسونني وشيكاً من بعد خمسٍ مع اثنتين
ان كان دَين الوفاء ديني فسرّني ان قضيتُ دَيني

ورويتا فيه ايضاً انهُ وجد على قبر مكتوباً (مجزوء الرمل) :

انا مشغولٌ بذنبي عن ذنوبِ الطائفا
وخطايا موبقاتٍ تركتْ قلبي حزينا
ولقد كنتُ ضئيلاً في عيون الناظرينا
صرتُ في ظلمة قبري خالياً فيها رهينا
في ثرى الارضِ وحيداً في بحور الهالكينا
وتركتُ الاهل والما ل لعمري والبنينا
ولقد عمّرتُ دهراً بعد احقابٍ سنينا
(٥٥) في نعيمٍ وسرورٍ فوق وصفِ الواصفينا
وملكتُ الشرق والغر بَ وكان المُلكُ فينا
وفتحتُ المُدن قهراً وغلبتُ الغالبينا
فاتى الموتُ علينا بعد هذا قفّينا
أيها المغرور باذلْ لثواب الصالحينا
كلُّ حيٍّ سوف يفنى غير مُحيي الميّتينا

ورويتا في كتاب التبصرة لابن الجوزي انه قُرئ على قبرٍ مكتوباً (بسيط) :

لا تركنَنْ الى الدنيا وبهجتها فانَّ اوطانها ليست بأوطانِ
عمّرتُ سبعين حولاً ثمَّ فاجأني حتمٌ من الموت يأتي كلَّ انسانِ
فما تزوّدتُ مما كنتُ اجمعُهُ واكدحُ الدهرَ فيه غيرَ اكفاني

وذكر ابو القاسم الحسين بن محمّد بن المفضل الراغب في كتاب محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء انهُ رؤي على قبر (متقارب) :

تعزَّ فكم لك من أسوةٍ تبرّدُ عنك غليل الحزنْ
بموتِ النبيِّ وقتلِ الوصيِّ وذبحِ الحسينِ وسمِّ الحسنْ

(٥٦) ورأيت على حائط تربةٍ مكتوباً (مجزوء الرمل) :

عابرَ الدربِ علينا رحمةٌ منك الينا
ما لنا عودٌ اليكمْ بل لكمْ عودٌ الينا

(الى هنا ينتهي ما ورد في اصل الكتاب. ولله الحمد غوداً وبدءاً)